نحو هندسة إقليمية جديدة: الصحراء الغربية كمحرّك لمصالحة تاريخية بين الجزائر والمغرب وتأسيس المغرب الكبير

مقدمة

منذ أكثر من نصف قرن، يشكّل النزاع حول الصحراء الغربية نقطة التوتر الرئيسية بين الجزائر والمغرب. فهذا النزاع، الموروث عن غموض الحقبة الاستعمارية، والمغذّى بحرب الرمال سنة 1963، والمضخَّم بعقود من الخصومة السياسية، لم يشلّ العلاقات الثنائية فحسب، بل عطّل أيضًا مجمل مشروع المغرب العربي كفضاء إقليمي موحد. غير أنّ تطوّر السياق الدولي في السنوات الأخيرة، إلى جانب قرار مجلس الأمن الذي اعتبر مقترح الحكم الذاتي المغربي أساسًا «واقعيًا وذا مصداقية» للنقاش، يفتح نافذة تاريخية: نافذة تسوية منظمة، متوازنة وقابلة لإحداث تحوّل عميق.

كما شهدت المنطقة في سبعينيات القرن الماضي محاولات مبكرة للتسوية، أبرزها مبادرة الحسن الثاني سنة 1975 للتفاهم الثلاثي مع الجزائر وموريتانيا، غير أنّ غياب الثقة الإقليمية آنذاك أفشل تلك المساعي.

يقترح هذا المقال رؤية جديدة تقوم على مقاربة براغماتية، تتمثل في إنشاء **نموذج «منطقة صحراوية مزدوجة»**: منطقة تحت السيادة المغربية، وأخرى تحت سلطة صحراوية مع إشراف سياسي–أمني جزائري، كأساس لمصالحة دائمة. ومن وراء حلّ النزاع الصحراوي، يمكن لهذا النموذج أن يتحوّل إلى نقطة انطلاق لإعادة تأسيس إقليمي، مستوحاة من منطق الكتل القارية المعاصرة (الاتحاد الأوروبي، الولايات المتحدة، الصين، روسيا، مجموعة البريكس). ومن شأن تقارب حقيقي بين الجزائر والرباط أن يعيد فتح الطريق أمام قيام «المغرب الكبير»، ككيان إقليمي منسجم، قوي ومتكامل، مرشّح لأن يمتد مستقبلاً نحو مصر والسودان ومنطقة الساحل.

1. نزاع موروث: ثقل التاريخ والاستعمار

يرتبط أصل الخلاف الجزائري–المغربي حول الصحراء ارتباطًا وثيقًا بالحدود التي خلّفها الاستعماران الفرنسي والإسباني. فعندما نالت الجزائر استقلالها عام 1962، لم تكن الحدود الصحراوية مرسّمة بشكل واضح. وقد أولت فرنسا اهتمامًا أكبر بإدارة الثروات المعدنية (الحديد، النفط، الفوسفات) من اهتمامها بالانسجام الإداري، تاركةً وراءها إرثًا قابلاً للانفجار. على سبيل المثال، تعرّضت منطقة تندوف إلى عمليات إلحاق متتالية بتقسيمات استعمارية مختلفة وفقًا لمصالح الشركات المنجمية الفرنسية.

هذا الغموض سرعان ما غذّى أزمة مفتوحة بين البلدين، تمثلت في **حرب الرمال سنة 1963**، وهي أول مواجهة عسكرية بين دولتين مستقلتين في المغرب العربي. هذا النزاع، على قصره وحدته، خلّف شرخًا دائمًا في التمثلات الوطنية: فالجزائر رأت فيه محاولة توسعية مغربية، بينما اعتبر المغرب موقف الجزائر رفضًا للاعتراف بـ«حقوقه التاريخية.«

ابتداءً من السبعينيات، تحوّلت قضية الصحراء الغربية، التي كانت لا تزال تحت الاحتلال الإسباني، إلى امتداد مباشر لهذه الخصومة. فقد طالب المغرب بالمنطقة، بينما دعمت الجزائر جبهة البوليساريو ومبدأ حق تقرير المصير، ليتحوّل الملف إلى نزاع مجمّد طيلة ما يقارب خمسة عقود.

ومع ذلك، يبيّن حدث كثيرًا ما يُنسى أنّ طريقًا آخر كان ممكنًا: **اتفاق إفران (1969)** بين بومدين والحسن الثاني. إذ كاد الزعيمان أن يتوصّلا إلى تسوية تاريخية تشمل تعاونًا اقتصاديًا عابرًا للصحراء. إن فشل تلك الفرصة يبيّن إلى أي حد تحوّلت الصحراء من مجرّد فضاء إلى رمز، وإلى أي مدى استغلّ النظامان هذا الرمز كرافعة سياسية داخلية.

2. محاولة تقاسم الصحراء سنة 1975: مبادرة الحسن الثاني ورفض بومدين

من الأحداث المفصلية التي سبقت اندلاع النزاع الحديث حول الصحراء الغربية، اللقاء الثلاثي الذي دعا إليه الملك الحسن الثاني سنة1975 ، قبل أسابيع قليلة من انسحاب إسبانيا من الإقليم عقب وفاة فرانكو .فقد وجّه الحسن الثاني دعوة رسمية إلى الرئيس الجزائري هواري بومدين، وإلى الرئيس الموريتاني مختار ولد داداه، من أجل مناقشة مستقبل الصحراء الغربية وإمكانية التوصل إلى تقاسم منظم للإقليم فور رحيل الإدارة الإسبانية.

كان المغرب يطرح حينها حلاً يقوم على تقاسم الصحراء بين المغرب وموريتانيا، مقابل ضمانات للجزائر تتعلق بفتح ممرات تجارية عبر تندوف وخلق توازن استراتيجي إقليمي .وقد أبدى الرئيس الموريتاني انفتاحًا واضحًا على المقترح، بينما ظلّ بومدين متحفّظًا، متمسكًا بمبدأ تقرير المصير ورافضًا أي صيغة للتقاسم.

لم يفضِ اللقاء الثلاثي إلى اتفاق، لكنه يدلّ على أنّ فكرة الحل التوافقي كانت مطروحة بجدّية قبل اندلاع النزاع العسكري، وأنّ الفاعلين الإقليميين كانوا يدركون مبكرًا أنّ مستقبل المنطقة لن يُحسم دون تفاهمات جماعية .كما يوضّح هذا الحدث أنّ غياب الثقة الاستراتيجية بين الجزائر والمغرب، منذ حرب الرمال1963 ، لعب دورًا حاسمًا في إفشال كل المساعي المبكرة للتسوية، مما فسح المجال أمام تسارع الأحداث لاحقًا، وصولًا إلى تنظيم» المسيرة الخضراء «وتوقيع اتفاقية مدريد الثلاثية.

3. معطيات دولية جديدة: نافذة تاريخية للفرصة

إن اعتماد مجلس الأمن مؤخرًا قرارًا يؤكد أنّ مقترح الحكم الذاتي المغربي يشكّل أساسًا «واقعيًا وذا مصداقية» للتفاوض، قد أوجد إطارًا جديدًا. فهو لا يعترف صراحةً بسيادة مغربية كاملة، لكنه يعيد تركيز العملية السياسية حول فكرة التسوية.

في الوقت نفسه:

- تسعى الجزائر إلى الاستقرار الإقليمي الضروري لتحوّلاتها الداخلية؛
- تعيش جبهة البوليساريو حالة إضعاف دبلوماسي وعسكري؛
- يرغب المغرب في استثمار مكاسبه الدبلوماسية دون الانزلاق إلى مواجهة مباشرة؛
- يشجّع الاتحاد الإفريقي والبريكس على الاندماج الإقليمي وتسوية النزاعات الحدودية؛
- وتشهد منطقة الساحل إعادة تشكّل استراتيجي متسارع (انهيار تحالفات إفريقية تقليدية، وصعود شراكات روسية وآسيوية جديدة).

في هذا السياق، لم يعد التوصل إلى اتفاق هيكلي بين الجزائر والمغرب مجرّد حلم مثالي غير واقعي، بل أصبح **ضرورة استراتيجية** لكلا الدولتين، وحاجة ملحّة للمنطقة برمّتها.

4. نموذج مبتكر: منطقة صحراوية مزدوجة

أكثر الحلول واقعيةً، والأقرب انسجامًا مع تاريخ الصحراء كفضاء للطرق والمسالك لا ككتلة إقليمية واحدة، يتمثّل في اعتماد **نموذج ثنائي الركائز** .يقوم هذا النموذج على تسوية سياسية تتبنّاها العاصمتان، وتحيط بها ضمانات دولية واضحة.

أ) منطقة حكم ذاتي صحراوية تحت السيادة المغربية

- اعتراف دولي بحكم ذاتي موسّع؛
- المحافظة على وحدة التراب الوطني المغربي؛
- توجّه اقتصادي أطلسي (موانئ، موارد، صناعة)؛
- تعزيز الحقوق الثقافية واللغوية والإدارية للسكان الصحراويين.

ب) منطقة صحراوية تحت سلطة صحراوية وإشراف سياسي–أمني جزائري

- فضاء تُديره نخب صحراوية، بدعم من الجزائر؛
- وضع قانوني غير سيادي، لكنه معترف به وذو حكم ذاتي واسع؛
- تنمية عابرة للصحراء باتجاه منطقة الساحل؛
- نزع تدريجي لسلاح البوليساريو، مقابل إدماجها في دور سياسي مؤسساتي.

ج) المكاسب المشتركة للدولتين

- يحظى المغرب باعتراف جزئي بالحل الذي يفضّله؛
- لا تتعرض الجزائر لإهانة دبلوماسية، وتبقى طرفًا مشاركًا في إدارة جزء من الصحراء؛

- تستمر البوليساريو كفاعل سياسي ضمن إطار مهدَّأ.

وبذلك تعود الصحراء لتصبح ما كانت عليه قرونًا طويلة:
فضاءً للحركة، والتكامل، والربط بين الفضاءات.

5. نحو تسوية نهائية للنزاعات الحدودية (1962–2025)

يمكن أن يتضمّن الاتفاق الصحراوي عنصرًا أساسيًا يتمثل في:
غلق جميع الملفات الحدودية الموروثة عن الاستعمار.

ويشمل ذلك:

- تثبيت ترسيم حدود 1962 كمرجع غير قابل للطعن؛
- إنشاء آليات للتعاون الحدودي الآمن؛
- إقامة منطقة حرّة للحركة الاقتصادية؛
- فتح ممر عابر للصحراء يربط الجزائر بالمغرب وبمنطقة الساحل؛
- وضع حدّ لكل المطالبات الترابية المستقبلية؛
- إيجاد حلّ إنساني وسياسي نهائي لقضية اللاجئين الصحراويين المتواجدين في مخيمات تندوف وبشار منذ ما يقارب نصف قرن، بما يضمن كرامتهم وحقوقهم وحقهم في العودة أو الاندماج وفق اتفاق توافقي بين جميع الأطراف.

إنها بمثابة **معاهدة إليزيه مغاربية** بين الجزائر والمغرب، أي مصالحة تاريخية تنهي قرنًا من التوترات.

6. المغرب الكبير: عملاق اقتصادي وجيوسياسي قيد التشكّل

إذا توصّلت الجزائر والمغرب إلى اتفاق، يمكن للمغرب العربي أن يولد من جديد.
فبخمسة أو ستة بلدان (الجزائر، المغرب، تونس، ليبيا، موريتانيا، وربما كيان صحراوي ذاتي)، سيُمثّل المغرب الكبير:

- بين **120و130 مليون نسمة**؛
- أكبر خزان للطاقة في شمال إفريقيا؛
- واجهتين استراتيجيتين: المتوسط والأطلسي؛
- قدرات زراعية وشمسية هائلة؛
- ممرًا لوجستيًا أساسيًا نحو إفريقيا الغربية.

يمكن أن يصبح هذا المغرب الكبير معادِلًا سياسيًا لـ:

- الاتحاد الأوروبي (27 دولة)؛
- الولايات المتحدة (50 ولاية)؛
- الصين (23 إقليمًا رئيسيًا)؛
- الهند (28 ولاية اتحادية)؛
- روسيا (جمهوريات + مقاطعات)؛
- آسيان؛
- مجموعة البريكس.+

إنّ الاتجاه العالمي يسير نحو تكوين تكتلات كبرى، ولا تستطيع أي دولة منفردة أن تنافس هذه الكيانات.

سيكون المغرب الكبير الموحد **ثالث قوة جيوسياسية في الحوض المتوسطي**، بعد الاتحاد الأوروبي وتركيا، ومتقدمًا على إسرائيل ومصر.

7. نحو كتلة إفريقية–عربية–صحراوية: امتداد طبيعي للمغرب الكبير

بعد استقراره، يستطيع المغرب الكبير أن يستقطب دولًا أخرى ضمن ديناميكية اندماج تدريجي:

- **مصر**)جسر متوسطي، واقتصاد ضخم)؛
- **السودان**)قطب زراعي ومائي مهم)؛
- **دول الساحل**)النيجر، مالي، تشاد، بوركينا فاسو)؛
- **السنغال**، وربما منطقة النيل الأزرق لاحقًا.

سنكون آنذاك أمام تشكّل **كتلة قارية جديدة** تمتد:

- من الدار البيضاء إلى الخرطوم،
- ومن الجزائر إلى نجامينا،
- ومن تونس إلى باماكو.

كتلة إفريقية–عربية–صحراوية تضم بين **300و450 مليون نسمة**، غنية بالموارد، قادرة على اتخاذ قرارات سيادية، وفاعلة رئيسية في إطار البريكس.

8. خاتمة

طوال عقود، ظلت المنطقة المغاربية أسيرة نزاع موروث عن الحقبة الاستعمارية ومغذّى بديناميات سياسية داخلية. غير أنّ السياق الدولي الراهن، وضغط الحقائق الجيوسياسية، يمنحان فرصة تاريخية: تحويل الصحراء من بؤرة صراع إلى فضاء تعاون ورابط بين الأقاليم.

إن **نموذج المنطقة الصحراوية المزدوجة**، المتوازن والمبتكر والبراغماتي، من شأنه أن يتيح:

- مخرجًا مشرّفًا لجميع الأطراف؛
- تطبيعًا دائمًا للعلاقات الجزائرية–المغربية؛
- تسوية للنزاعات الحدودية منذ 1962؛
- إعادة إطلاق مشروع اتحاد المغرب العربي؛
- وتأسيس كتلة إفريقية–عربية–صحراوية واسعة ومتكاملة على المدى البعيد.

في عالم لا تزدهر فيه إلا الكيانات الإقليمية الكبرى، تملك الجزائر والمغرب فرصة استثنائية للعودة إلى دورهما التاريخي : **بناء اتحاد قوي ومستقر ومحترم على نطاق واسع** .ويتوقف الأمر عليهما – وعلى جرأة الرؤية السياسية – لتحويل هذه الفرصة إلى نهضة تاريخية حقيقية.

المراجع الهامة :

أولا : مراجع أكاديمية حول الصحراء الغربية

- **موندي، جاكوب، وستيفن زيونس.**
الصحراء الغربية: الحرب، القومية، واستعصاء الحل.
(جامعة سيراكيوز، 2010)
Western Sahara: War, Nationalism, and Conflict Irresolution.
- **جنسن، إيريك.**
الصحراء الغربية: تشريح مأزق.
(منشورات لين راينر، 2004)
Western Sahara: Anatomy of a Stalemate.
- **سان مارتين، بابلو.**
الصحراء الغربية: أمة اللاجئين.
(منشورات جامعة ويلز، 2010)
Western Sahara: The Refugee Nation.
- **شيللي، توبي.**
النهاية في الصحراء الغربية: ما مستقبل آخر مستعمرة في إفريقيا؟
(منشورات زيد، 2004)
Endgame in the Western Sahara: What Future for Africa's Last Colony?
- **بوخارس، أنور.**
"الإرث الاستعماري والنزاعات الحدودية في شمال إفريقيا".
(مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، 2017)
The Colonial Legacy and Border Disputes in North Africa.

ملاحظة:
هذه المراجع تقدّم أساساً أكاديمياً متيناً حول قضية الصحراء، جبهة البوليساريو، والخلفيات الجيوسياسية للنزاع.

ثانيًا: التقارير الرسمية وقرارات الأمم المتحدة

- **الأمم المتحدة — قرار 1514 (1960)**
إعلان منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمَرة.
- **الأمم المتحدة — قرار 690 (1991)**
إنشاء بعثة المينورسو.(MINURSO)

سلسلة قرارات مجلس الأمن حول الصحراء الغربية (2000–2025)
ومنها على سبيل المثال:

- **S/RES/1754 (2007)** إشارة إلى مقترح الحكم الذاتي المغربي
- **S/RES/2602 (2021)**
- **S/RES/2654 (2022)**
- **S/RES/2703 (2023)**
- **قرار مجلس الأمن رقم 2797 (2025) المعتمد** بتاريخ **1 نوفمبر 2025**

- **تقارير الأمين العام للأمم المتحدة حول بعثة المينورسو (تقارير سنوية)**

ملاحظة:
هذه الوثائق تدعم القسم الخاص بـ **"المعطيات الدولية الجديدة"**.

ثالثًا: مراجع تاريخية — الحدود، الاستعمار، حرب الرمال

حول حرب الرمال (1963)

- **مولينارو، دينيس.**
"حرب الرمال والنزاع الحدودي الجزائري–المغربي".
مجلة دراسات شمال إفريقيا، 2010.
The Sand War and the Algerian-Moroccan Border Conflict.
- **ألكسندر، مارتن.**
الحرب الجزائرية والجيش الفرنسي.
)بالغريف ماكميلان، 2002) — خاصة الفصول حول الحدود الصحراوية
The Algerian War and the French Army.
- **تقرير لجنة المصالحة لمنظمة الوحدة الإفريقية(OUA) ، 1964**

حول اتفاق إفران (1969)

- **زارتمن، ويليام.**
سياسة شمال إفريقيا: التغيير والاستمرارية.
(1982)
North African Politics: Change and Continuity.
- **هيو روبرتس.**
ساحة المعركة الجزائر —تحليل للدبلوماسية المغاربية
The Battlefield Algeria.

رابعًا: الجيوسياسة المعاصرة — البريكس، الساحل، الاندماج الإقليمي

مراجع حول البريكس والكتل الإقليمية

- **شتوينكل، أوليفر.**
البريكس ومستقبل النظام العالمي.
(منشورات ليكسينغتون، 2015)
The BRICS and the Future of Global Order.
- **مركز سياسات البريكس (البرازيل(**
تقارير سنوية.

حول الساحل وإعادة التشكل الاستراتيجي

- **مجموعة الأزمات الدولية.(ICG)**
"الساحل الأوسط: مشهد لمنافسة جيوسياسية جديدة." (2021(
- **لاخر، ولفرام.**
تشظّي ليبيا.
(منشوراتI.B. Tauris ، 2020)
Libya's Fragmentation.
- **تقارير منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية:(OECD)**
"الأمن والاستقرار في الساحل" (2020–2024)

حول الاندماج الإفريقي/المغاربي

- **باددي، برتراند.**
زمن المُهانين.
(فصول حول الحدود ما بعد الاستعمارية)
Le Temps des Humiliés.
- **بن سعد، علي.**
"الرهانات الجيوسياسية للصحراء".
نشرت في مجلة *IREMAM* — إكس-أون-بروفانس.
- **بانك، أندريه، وبوش، لِينا.**
"التعاون الإقليمي في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا".
معهد GIGA — 2017

خامسًا: مراجع حول المغرب الكبير واتحاد المغرب العربي

- **إنتيليس، جون.**
نهضة المغرب الكبير.
(منشورات ويستفيو)
- **هنري، كليمان.**
الغرب العربي: الاستقرار المتناقض للمغرب.
(منشورات جامعة جورجتاون)
The Arab West.
- **اتحاد المغرب العربي (1989)**
—الوثائق التأسيسية
(متاحة على موقع الاتحاد)

مراجع اقتصادية وطاقوية

- البنك الدولي — تقارير اقتصادية لدول المغرب العربي
- صندوق النقد الدولي — (FMI) آفاق شمال إفريقيا
- البنك الإفريقي للتنميةNorth Africa Economic Outlook —

سادسًا: مراجع "الكتلة الإفريقية–العربية–الصحراوية"

- **الاتحاد الإفريقي — أجندة 2063**
- **لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية لإفريقيا(UNECA)**
"الاندماج القاري عبر التكتلات الإقليمية"
- **تقرير الأمم المتحدة حول الساحل — 2023**

سابعًا: مراجع عامة — الجيوسياسة العالمية

- **صمويل هنتنغتون.**
صدام الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي.
The Clash of Civilizations.
- **باراغ خانا.**
المستقبل آسيوي.
The Future is Asian.

❖ **هنري كيسنجر.**
النظام العالمي.
World Order

مراجع إضافية حول محاولة تقاسم الصحراء سنة 1975

❖ **تفاقية مدريد الثلاثية (14 نوفمبر 1975)** وثيقة رسمية منشورة في الأرشيف الإسباني.
تشير ضمنًا إلى التفاهم المغربي–الموريتاني،
❖ **تقارير الأمم المتحدة 1975–1976** بخصوص "الوضع في الصحراء الغربية"، المناقشات حول الانسحاب الإسباني. في عهد فرانكو،
❖ ديميس، جون. "نزاع شمال غرب إفريقيا: قضية الصحراء الغربية "*بمجلة الشرق الأوسط*، 1980
"Conflict in Northwest Africa: The Western Sahara Dispute."
John Damis - *Middle East Journal, 1980.*
❖ زارتمن، وليام. "*سياسة شمال إفريقيا: التغيير والاستمرارية*" ، 1982.
Zartman, William - *North African Politics: Change and Continuity*, 1982.
❖ من أهم المراجع حول خلفية اتفاق مدريد ومحاولة التقاسم 1983 لتوني هودجز
Tony Hodges -*Western Sahara: The Roots of a Desert War*, 1983.
❖ مذكرات. مختار ولد دداه *موريتانيا: ضد الرياح والأمواج*، 2003.
La Mauritanie contre vents et marées, 2003
• جورج جوفيه. "المغرب ونزاع الصحراء الغربية." *مجلة دراسات شمال إفريقيا* 2009، George Joffé.
Journal of North African Studies. "Morocco and the Western Sahara Conflict."
❖ السفارة الإسبانية – ديزكالار، خورخي" *.الانتقال الخارجي*" ، 2010. 2010. *La Transición Exterior*,
Dezcallar Jorge (السفير الإسباني السابق)
❖ روبرتس، هودجز "*الجزائر: ساحة المعركة السياسية*" ، 2014.
Roberts Hugh - *The Battlefield Algeria*, 2014.
❖ بازانيتا، أنتوني. "*القاموس التاريخي للصحراء الغربية*" 2023،
Anthony G. Pazzanita - *2023 Historical Dictionary of Western Sahara*, 3rd ed,
❖ هودجز، توني. "*جذور حرب الصحراء الغربية*" ، 1983.
Tony Hodges -*1983 Western Sahara: The Roots of a Desert War.*
❖ تفاصيل دقيقة حول موقف موريتانيا من تقاسم الصحراء 2016، *Historical Dictionary of Mauritania*,
2016 **Pazzanita, Anthony & Tony Hodges**
❖ مقال لريمي لوفو حول المغرب ودبلوماسية الحسن الثاني في السبعينات.
Rémi Leveau Articles in *Politique Internationale*